الأيقونة مقابل الذكاء الاصطناعي

يقول القديس توما الأكويني إن الصورة يجب أن تتسم بثلاث صفات متزامنة:

التشابه مع النموذج الأصلي

الانبثاق منه

التشابه في النوع مع

بقدرة على إنشاء صورة تشبه موضوعًا ما (AI) يتمتع الذكاء الاصطناعي بطريقة تختلف عن التصوير الفوتوغرافي. وبفضل السرعة والقوة الحاسوبية غير المسبوقتين، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتفوق في إنشاء صورة تشبه موضوعًا ما انطلاقًا من بيانات سابقة، وذلك باستخدام طريقة تخلو من الحدس البشري. وقد يعتبر البشر أن تقطيع البيانات إلى أجزاء صغيرة لا معنى لها وإعادة بناء صورة في ظل قيود مجموعة من المعلمات أمرًا جنونيًّا وغير فعالٍ على الإطلاق. لكن الذكاء الاصطناعي ينجح في ذلك بفضل قوته الحاسوبية الهائلة وسرعته الفائقة. يكاد هذا الأمر يذكرنا بدورة التدمير/إعادة البناء التي تتسم بها الثورات والاقتصادات القائمة على الربا. ويمكن للمرء أن يتساءل، في

هذا السياق نفسه، ماذا ستكون النتائج، وإلى أي مدى سيحدث تلاشي التشابه، حيث يستخدم الذكاء الاصطناعي صورًا سابقة لإنشاء صور جديدة. بل يمكن القول إن التشابه مع النموذج الأصلي ليس هدفًا في حد ذاته، لأنه على عكس التصوير الفوتوغرافي، يجب تدمير النموذج الأصلي كجزء من العملية.

لكن الفن المقدس لا يقتصر على مجرد صورة. فهو يتطلب فنانًا متدينًا ليتمكن من تحقيق تشابه أكثر دقة مع النموذج الأصلي، نظرًا لأن هذا النموذج يتمتع بطبيعة روحية يجب أن تنعكس في العمل الفني. وتُعد تقنية صلاة إغناطية أساسية (Compositio loci) ««تكوين المكان تنطوي على بناء ذهني لموقع مشهد كتابي أو شخصية أو سر روحي، بهدف تسهيل التأمل التخيلي. وبذلك، يمكن أن ينشأ الفن المقدس ويكون «مستمدًا من النموذج الأصلي»، على أمل أن يحافظ على السمات غير المادية الأصلية. ولعل أفضل مثال على استخدام هذه التقنية في الفن هو الطريقة التي غيّر بها القديس فرنسيس تجربة عيد الميلاد بشكل دائم من خلال تعميم مشهد المذود. تهدف الممارسة الإغناطية إلى تحويل الصلاة إلى لقاء طفولي وخيالي مع الحدث الإلهي. يخضع الفنان لإيجاد الله في الحاضر ليوجه عمله مستلهمًا من قصة الله. هذا هو أحد أركان «التمارين الروحية» للقديس إغناطيوس، المصممة لمساعدة الأفراد على تمييز مشيئة الله من خلال الانغماس

في تأمل غني بالحواس. وعند استخدامها في الفن، تصبح هذه الطريقة المقدسة وسيلة لتقديم لحظة مقدسة للمشاهد المتدين أو لإلهام التقوى في نفوس غير المتدينين. ويمكننا أن نرى هنا كيف يوجد أيضًا شكل من أشكال التشابه في النوع، حيث يُؤمل أن تنتقل القداسة من الحدث المصدر إلى الفنان، وربما إلى المشاهد

الأيقونات هي أكثر من مجرد فن مقدس. ماذا لو لم تكن خيال الفنان والمشاهد ضروريين؟ ماذا لو كانت حتى مهارات رسام الأيقونات غير مطلوبة أو ثانوية؟ في التقاليد الرسولية، هناك موضوع الأيقونة «غير المصنوعة بأيدي البشر» (يوم العيد هو 16 أغسطس في التقويم الشرقي). وفي التقاليد الغربية، هناك سيدة غوادالوبي لا نحتاج حتى إلى تسمية صورة سيدة غوادالوبي «صورة». نكتفي بقول «سيدة غوادالوبي» للإشارة إلى الصورة. هنا، الشبه هو النموذج الأصلي، والأصل إلهي وليس مجرد مستمد من الإلهي. نحن نرى الجوهر بشكل مستقل عن خيالنا أو إيماننا. وهناك أمثلة عديدة أخرى. فقد نُسبت بعض الأيقونات المقدسة، مثل «أمنا العون الدائم»، إلى القديس لوقا. ويرفض المفكرون النقديون هذا الاحتمال، حيث يُعتقد أن الأيقونة رُسمت فيالقرن الثالث عشر

ولكن لماذا لا يمكن أن يكون القديس لوقا هو رسام الأيقونات/الشفيع في القرن الثالث عشر، تمامًا كما لا يستطيع القديس شربل أن يصنع لك معجزة اليوم؟

في رسالة كولوسي 1:15، كتب الرسول بولس: «هو [المسيح] صورة الله غير المنظور، البكر على كل الخليقة». الكلمة اليونانية التي تعني والتي تعني تمثيلاً دقيقاً. وليست مجرد «تشابه ،eikōn «صورة» هي مع النموذج الأصلي». نحن نعلم أن المسيح مطابق لله الآب. فهو من نفس «النوع» الإلهي، باستثناء كونه مولودًا أبديًا (مشتقًا) من الآب. المسيح هو تجسيد الله غير المنظور، الذي منع الصور السماوية حتى هذا التجسد. ما هو غير مادي يصبح ماديًا. مصدر النعمة للبشرية. وكجزء من التجسد، تصبح الأيقونات، كما يقول القديس يوحنا الدمشقي، «قناة للنعمة الإلهية» للبشرية.

القصة الأوسع لزوجة بوتيفار

في بلدة مغدوش المطلة على صيدا في جنوب لبنان، تقول الأسطورة إن زوجة بوتيفار (حوالي 1500 قبل الميلاد) مدفونة هناك، وهي المرأة التي أغوت يوسف في الكتاب المقدس، الذي لم يذكر اسمها. يذكر الأدب اليهودي والإسلامي والفارسي اسمها بأنه «زليخة». وتروي القصة في الكتاب المقدس أنه بعد خيانة أقارب يوسف وبيعه كعبد (سفر التكوين 39)، نال يوسف استحسان بوتيفار، قائد حرس القصر المصري. وفي ذلك البيت، رفض يوسف محاولات زليخة للتودد إليه وإغوائه. وفي الحادثة التي أدت إلى سجنه، تمسكت زليخة بثوب يوسف، لكنه هرب عارياً من القصر. فكذبت على بوتيفار قائلةً إنه هو المحرض، فتم إرسال يوسف إلى السجن. وهناك، حظي يوسف بنعمة ومكانة جديدتين وأعظم عند الفرعون، ليصبح في النهاية مصدر خلاص وبركات لأقاربه، أي نفس الأشخاص الذين خانوه

تذكرنا هذه القصة بموضوعين متكررين هما نعمة الله ورحمته:

عندما نتعرض للظلم والخيانة، يمكننا أن نصبح مصدر نعمة للناس، ولعدد أكبر بكثير من الناس، وبنعمة أكبر بكثير مما كان سيتوفر لو لم تحدث الخيانة والشر أبدًا. فعندما نتلقى نعمة الله ورحمته، نجلب معها الآخرين أيضً

استمرارية النعمة تحدث دائمًا من خلال محور العفة

لكن هذه القصة ليست سوى فصل مبكر، وهناك فصول سابقة ولاحقة وفصول أخرى قادمة

بلدة مغدوش هي نتوء صخري قديم وموقع مراقبة لمدينة صيدا. خلال العصر الفينيقي (ذروته بين 1200 و800 قبل الميلاد)، كان هذا النتوء الصخري يضم معبدًا مكرسًا لآستارت، إلهة الحرب والجنس الوثنية. تقول الأسطورة الوثنية إن أستارت أنجبت ولدين من أخيها، هما إيروس الشهوة . ومن المرجح أن تكون أستارت هي نفس الإلهة الوثنية لمدينة صيدا، أشتوريث، التي أسرت قلب سليمان بن داود (1 ملوك 11:5)

استولى المسيحيون على المعبد بعد أن أقامت العذراء والدة الإله في كهف هناك أثناء انتظارها عودة ابنها من الوعظ في صيدا .يُشار إلى عمل يسوع في صيدا في العديد من المواضع في العهد الجديد (متى

11:21–22، مرقس 3:8 و7:31، ولوقا 6:17)، بل إن متى 15:21 يشير إلى المدينة باعتبارها ملاذًا ليسوع

واستغرق الأمر إقناع القديسة هيلانة في القرن الرابع من قبل أهل المدينة المخلصين حتى أصدرت الإمبراطورية أيقونة للسيدة العذراء، يُقال إن القديس لوقا رسمها، إلى الكهف/الكنيسة البيزنطية: عذراء مانترا (المنتظرة) أو عذراء ماغدوش

في القرن الثامن، قام السكان المحليون بدفن الكهف وإخفائه هربًا من اكتشافه من قبل الحكام المسلمين المحليين. وعلى عكس الخليفة عمر الذي عفا عن القدس، كانوا يخشون أن يتم تدمير الكهف على يد هؤلاء القادة. ثم تفرّق الكثيرون من سكان المنطقة إلى الجبال الأعلى أو اعتنقوا الإسلام. ولم يشك الصليبيون من الطقس اللاتيني في صيدا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أبدًا في وجود الكنيسة الصغيرة، حتى مع وجود قلعتهم وكنيستهم الصغيرة على مرمى حجر من الكهف المخفي.

ومع ذلك، بقيت أسطورة الكهف قائمة

في عهد الأمير الدرزي الخير فخر الدين الثاني في أوائل القرن السابع عشر، ساد السلام وحرية الدين في المنطقة. واعترف رئيس أساقفة بيزنطة في صيدا، أوثيميوس ميخائيل سيفى (1682 – 1723)، بأولوية أسقف روما. في تلك الفترة تقريبًا، أُعيد اكتشاف الكهف عندما ذهب صبي راعي غنم بحثًا عن ماعز سقط داخل الكهف. لاحظ الصبي — الذي يمكننا أن نطلق عليه اسم «إنديانا جونز الصغير» — الأيقونة بينما كان الماعز يركض عائدًا إلى أحضانه. فقام بتكديس الصخور ليهرب مع ماعزه المحبوب، مما نبه سكان البلدة إلى اكتشافه العرضي. واستؤنفت رحلات الحج

وهكذا استُبدل عبادة عشتروت بالحب والولاء، اللذين استُعيدا من جديد، لأم الله العفيفة والعذراء، «تابوت العهد الحي». كما تعرض ابنها العفيف والعذري للظلم والخيانة، ليصبح مصدر نعمة مقدمة لجميع البشر، تفوق بما لا يحصى ما كان سيتاح لو لم تحدث الخيانة والشر قط. وحتى لا يظن أحد أن هذا لا علاقة له بقصة بوتيفار أو أن يد الله لا تترك بصمتها في الكتاب المقدس، فليقرأ الوصف المذهل الذي قدمه الإنجيلي مرقس لما حدث مباشرة بعد خيانة يسوع في بستان جثسيماني

مرقس 14:51 وكان شابٌّ، لا يرتدي سوى ثوب من الكتان، يتبع يسوع. فلما أمسكوا به، 52 هرب عارياً، تاركاً ثوبه وراءه

لقد انقضى الشتاء الآن، وتلاشت الأمطار. قومي يا حبيبتي، يا عروسي من لبنان، وتعالي. كم أنتِ جميلة يا حبيبتي، كم أنتِ فاتنة. بين جميع النساء كزهرة الزنبق بين الأشواك